

بسم الله الرحمن الرحيم

اليوم الموعود

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله - عز وجل - أيها المسلمون نعيش في هذه الحياة الدنيا مغترين بالمظاهر الزائفة التي تظهرها لنا الدنيا سواء مظهر المال، أو الجاه، أو المنصب ... الخ، وفي نفس الوقت نعمل على تشييد القصور، وزخرفة الدور، ناسين أو متناسين أن لنا موعداً ننتظره لن نُخلفه، في وقت لا يعلمه أحد إلا الله - عز وجل -، وهذا الموعد لا يستثنى أحداً من الخلق، أتدرون ما هذا الموعد؟ إنه موعد مغادرة دار الدنيا الفانية، والانتقال إلى دار أخرى صغيرة لا تتجاوز مساحتها الثلاثة أمتار، دار ضيقة، لكن من يهتم بذلك؟ ومن يعمل لتلك الدار؟

تجدنا نعمل للذي سيفنى، ونترك الذي سيبقى؟
والناس يستعدون للمواعيد التي يعلمون متى ستحصل، ولكن الأمر الأشد والأعظم أنهم لا يحسبون حساب الأمر المحتم الذي لا يدري أحد متى سيقع، ومتى سيأتي، فلا يستعد له إطلاقاً، ولا يعطيه أي اهتمام.

إن هذا الموعد هو الذي قال الله - تبارك وتعالى - عن حتميته، وأنه واقع على كل إنسان: {كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} العنكبوت 57 فالموت حتم في كل مكان، وعلى كل إنسان، وإلى الله المرجع والمآب، ونحن مهاجرون إليه في أرضه الواسعة، وعائدون إليه في نهاية المطاف.

زائر غريب لن يطرق الباب، ولن يستأذن على أحد، يأتي على حين غفلة، في ساعة سنمر بها جميعاً، وما منا من أحد إلا وهو واقع تحت بأسه، في ساعة يُدَلُّ فيها الجبابرة، ويخضع فيها العصاة، وهنا يتحقق قوله - تبارك وتعالى -: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} ق 19 فقلد "كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمترى فيه {ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} فهذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص، ولا فكاك ولا خلاص، وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "حضرت أبي - رضي الله عنه - وهو يموت، وأنا جالسة عند رأسه، فأخذته غشية، فتمثلت ببيت من الشعر

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
فكشفت عين وجهه وقال - رضي الله عنه -: ليس كذلك، ولكن قولِي {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ}، وقد ثبت في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: ((لا إله إلا الله إن للموت لسكرات)) رواه البخاري {ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} تتعد وتتناهى وتفر، قد حل بك، "ونزل بساحتك، ذلك ما كنت تقدر على الفرار منه، ولا الحيد عنه

أيها المسلمون:

سنقف اليوم إن شاء الله - عز وجل - مع بضع آيات كريمات من سورة ق للنظر فيما تضمنته من المواعظ والزواجر التي تخللت ثنايا تلك الآيات، أما السورة فهي من السور التي كان الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - يخطب بها في الجمع، ويجعل مادتها هي جل خطبته، وكل هذا لأنها اشتملت على المواعظ الكبار، والزواجر العظام، وموضوعنا ينحصر في بعض الآيات من هذه السورة الكريمة يقول الله - تبارك وتعالى -: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمَ مَا تَوْسُوهُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ

* وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ *
 * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ
 غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ * وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدِي عَنِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
 عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيدٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ
 * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدِيَ وَقَدْ قَدِمْتُ
 إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِي وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ * يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ
 وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ * وَأَزَلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرِ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ
 حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ يِقْلَبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ
 * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ{16.35}

أيها المسلمون:

إنها آيات عظيمة وبليغة أنزلها الله - عز وجل - ليتعظ العبد وينزجر، وليعلم أن الله - تبارك وتعالى - هو الذي خلقه فهو عالم بحاله، ومطلع عليه، وفيها إرشاد من الله - عز وجل - للعبد إلى أي الطريقين يسلك، وأي الاتجاهين يميل، "إنها آيات رهيبة شديدة الوقع بحقائقها، شديدة الإيقاع ببنائها التعبيري، وصورها وظلالها، وجرس فواصلها، تأخذ على النفس أقطارها، وتلاحقها في خطراتها وحركاتها، وتتعبقها في سرها وجهرها، وباطنها وظاهرها، تتعقبها برقابة الله التي لا تدعها لحظة واحدة من المولد إلى الممات، إلى البعث، إلى الحشر، إلى الحساب، وهي رقابة شديدة دقيقة رهيبة تطبق على هذا المخلوق الإنساني الضعيف إطباقاً كاملاً شاملاً، فهو في القبضة التي لا تغفل عنه أبداً، ولا تغفل من أمره دقيقاً ولا جليلاً، ولا تفارقه كثيراً ولا قليلاً، كل نفس معدود، وكل هاجسة معلومة، وكل لفظ مكتوب، وكل حركة محسوبة، والرقابة الكاملة الرهيبة مضروبة على وساوس القلب كما هي مضروبة على حركة الجوارح، ولا حجاب ولا ستار دون هذه الرقابة النافذة، المطلعة على السر والنجوى اطلاعها على العمل والحركة، في كل وقت، وفي كل حال.

آيات تروع الحس روعة المفاجأة، وتهز النفس هزاً، وترجحها رجاً، وتثير فيها رعشة الخوف، وروعة الإعجاب، ورجفة الصحو من الغفلة على الأمر المهور الرهيب، وذلك كله إلى صور الحياة، وصور الموت، وصور البلى، وصور البعث، وصور الحشر، وإلى إرهاص الساعة في النفس، وتوقعها في الحس، وإلى الحقائق الكونية المتجلية في السماء والأرض، وفي الماء والنيت، وفي الثمر والطلع {تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} ق 8 ولقد صور النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حال الإنسان في الموت ومصيره بعده في حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - حيث قال: ((خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جنازة رجل من الأنصار، فانتبهينا إلى القبر ولم يلحد بعد، قال: فقعنا حول النبي - صلى الله عليه وسلم - فجعل ينظر إلى السماء و ينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه ثلاثاً، ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ثم قال: إن الرجل المسلم إذا كان في القبر من الآخرة، وانقطع من الدنيا؛ جاء ملك الموت فقع عند رأسه، وينزل ملائكة من السماء كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فيقعون منه مد البصر، قال: فيقول ملك الموت: أيتها النفس المطمئنة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء، فلا يتركونها في يده طرفة عين، فيصعدون بها إلى السماء فلا يمرون بها على جند من ملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه، فإذا انتهى إلى السماء فتحت له أبواب السماء، ثم يشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي إلى السماء السابعة، ثم يقال: اكتبوا كتابه في عليين، ثم يقال: ارجعوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أنني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فترد روحه إلى جسده، فتأتيه

الملائكة فيقولون: من ربك؟ قال: فيقول: الله، فيقولون: ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقولون: ما هذا الرجل الذي خرج فيكم؟ قال: فيقول رسول الله، قال: فيقولون وما يدريك؟ قال: فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت، قال: فينادي مناد من السماء أن صدق فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وأروه منزله من الجنة، قال: ويمد له في قبره، ويأتيه روح الجنة وريحها، قال: فيفعل ذلك به، ويمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول: من أنت فوجهك وجه يبشر بالخير، قال: فيقول: أنا عمك الصالح، قال: فهو يقول: رب أقم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي، ثم قرأ: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}، وأما الفاجر: فإذا كان في قبل من الآخرة، وانقطع من الدنيا أتاه ملك الموت، فيقعده عند رأسه، وينزل الملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيقعده من مد البصر، فيقول ملك الموت: أخرجني أيتها النفس الخبيثة إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينقطع معها العروق والعصب كما يستخرج الصوف المبلول بالسفود ذي الشعب، قال: فيقومون إليه فلا يدعونها في يده طرفة عين، فيصعدون بها إلى السماء، فلا يمرون على جند من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ قال: فيقولون فلان بأقبح أسمائه، قال: فإذا انتهى به إلى السماء غلقت دونه أبواب السماوات، قال: ويقال: اكتبوا كتابه في سجين، قال: ثم يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أنني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فيرمي بروحه حتى تقع في جسده، قال: ثم قرأ {وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} الحج 31 قال: فتأتيه الملائكة فيقولون: من ربك؟ قال: فيقول: لا أدري فينادي مناد من السماء: أن قد كذب فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وأروه منزله من النار، فيضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، قال: ويأتيه ريحها وحرها قال: فيفعل به ذلك، ويمثل له رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعده، قال: فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يبشر بالشر، قال: فيقول: أنا عمك الخبيث قال: وهو يقول: رب لا تقم الساعة))المستدرك وصححه الالباني

هاتان موعظتان بليغتان اشتملتا على الوعظ الإلهي، والإرشاد النبوي، كل هذا حرصاً على هذا العبد المسكين الغارق في الشهوات والملذات، ليعلم أين مصيره، وما منتهاه، وإلى أين سيؤول حاله فيكون على أهبة الاستعداد، وبعد العدة من الأعمال الصالحة، وليتزوج من الخير، وهذا ما حث الله - تبارك وتعالى - عليه بقوله: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَآتَقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} البقرة 197 تزودوا لما أنتم قادمون بالطريق طويل، والمسلك صعب، فإلى متى الغفلة؟، وإلى متى الإعراض؟، ألا فهل من متعظ بهذه المواعظ الإلهية؟، وهل من قلوب تسمع، وتعني؟

الأمر جلل، والخطب عظيم

نسأل الله - عز وجل - أن يقينا عذاب جهنم، وعذاب القبر، وأن يهدي قلوبنا ويطهرها، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين

ثقة الرجل بنفسه و ثقته بزوجته ... يجعل منه إنساناً عاقلاً *